

(كيف لا نشهدُ للتي يشهدُ لها الخلود)

صار الجوُّ يَميلُ إلى البرودة

يُطلقُ النسماتِ العليلةَ مِن هُنا وهناك

وَمِنَ الجهاتِ الأربعِ في البستان

حتى إنَّ الجهاتِ الأربعَ تُصبحُ جهةً واحدةً

وأنتَ فيكَ تتلاشى المُسمَّيات

فلا جسمُكَ ذو ماهيَّةٍ ولا رُوحُكَ

كُلُّ الاعتباراتِ الوجودية تختفي

إلا اعتبارَ كينونتكِ بلا قيد

إنَّكَ تُحسُّ بذلكَ وقتَ قربِ أُولِ الشمسِ

وقتَ احمرارِ السماءِ، وقتَ استعدادِ النهارِ للرحيلِ

وقتَ هبَّاتِ قشعريرةٍ تنتابُ جسمَكَ مِن لُسعةٍ بردٍ دافئةٍ

وقتَ رقصةِ خيوطِ الطبينةِ البيضاءِ أمامَكَ

وقتَ تلمحُ ثقباً متوهَّجاً يتوارى بينَ أكوامِ طبينتِه

وقتَ انصبابِ شايِكَ مِنَ القوري الذي اختفى أساسُ لونه

وقتَ رشفِكَ للشاي ولا تدري أَلَهْهُ تقولُ ا ا ا...!

أم للشمسِ المذبوحةِ في كبدِ السماءِ أم للنسماتِ العليلةِ

أَ لخيوطِ الطبيعةِ أم لرائحتها أَمِّمٌ، أَمِّمٌ

أم لكلِّ ذلكَ بحيثُ لا تَشْعُرُ مِنْهُ أينَ تأتيكَ اللذَّةُ

لهذا يتبادرُ يحضرُ في ذهنِكَ الجمالُ المطلقُ، الكمالُ المطلقُ

ينطقُ بلفظِ الجلالةِ لسانُكَ

وبعفويةٍ تجدُ نفسكَ تقولُ ا ا ا...!

هكذا أنتَ حينَ تتعجَّبُ، حينَ تتلذَّذُ، حينَ تُسَدِّدُ بالأمورِ

هكذا ينبغي أن يكونَ سَدِّدُ قصيدتِكَ، ولا ينبغي أن تكونَ قصيدتُكَ أَقَلَّ مِنْ ذلكَ

قصيدةٌ شطريك، قصيدةٌ تفعيلتِكَ، قصيدةٌ نثرِكَ

هكذا تعودُ إلى القصيدةِ وإليكَ هي تعودُ

هذا هو مقامُكَ فيها وهو مقامُها فيكَ

فكنْ أنتَ ودعْ مَنْ قالَ إنَّ قصيدةَ النثرِ لها ترتيبٌ خاصٌ

دعْهُ وشأنُهُ وتَسَامَ وشأنُكَ

إنَّ شأنَ قصيدةٍ نثرِكَ أن تكونَ أنتَ والمتلقي معها

ككونِكَ كما في البستانِ ، ككونِكَ فيهِ بحيثٍ سَلَّاهُ

في المكانِ في الزمانِ نفسَيهما

في اللحظةِ التي قلتَ فيها ا ا ا ...!

هي لحظةٌ قصيدةٍ نثرِكَ التي يُقالُ فيها ولها

أنا أقولُ فيها ولها وأنتَ

أنا وأنتَ وبائعُ الحشائشِ في سوقِ الخضرةِ

أنا وأنتَ والأطفالُ النازلونَ مِنْ حافلةِ روضتِهِم

أنا وأنتَ ومَنْ يَصْبُ الفولَ مِنْ جَرَّتهِ في الصحنِ

ومَنْ يَأْكُلُ الفولَ في المطعمِ أَيْلًا كانَ

تشهدُ لذلكَ دَقَّاتُ قلبِهِ

تشهدُ رائحةُ البصلِ المنبعثةُ مِنْ مَضْغِهِ

تشهدُ الزيتونةُ التي سقطتْ في حضنِهِ

تشهدُ نسمةُ طَبِينَةٍ جاءتْ تُحْيِيهِ مِنْ البستانِ

وأنا وأنتَ تشهدُ لقصيدةِ نثرِكَ

للتّي خرجتْ عن ترتيبيها المعلنِ المُجترِّ الخاص

للتّي عرفتْنا كُلاًّنا وعرفتْ طريقَها

لها نشهدُ قطعاً نشهدُ

كيف لا نشهدُ للتّي يشهدُ لها الخلود.